

المشكلات الاجتماعية وتجلياتها في الخطاب الغرافيقي

دراسة أنثروبولوجية

*Young people's social problems and manifestations in graphic discourse**-anthropological study-*رمزي فارح^{1*}، سميرة مشري²¹ جامعة محمد خيضر – بسكرة- (الجزائر)، ramzi.farah@univ-biskra.dz² جامعة محمد خيضر – بسكرة- (الجزائر)، samira.mecheri@univ-biskra.dz

تاريخ القبول: 2025/03/27

تاريخ الإستلام: 2024/01/07

ملخص:

يتسم الواقع الاجتماعي الراهن بمجموعة خصائص وسمات وتحديثات يتجاوز فهمها المنظور العام إلى المنظور العلمي الأكاديمي من أجل تحليل وتأويل جزئياته، من هذا المنطلق كانت دراستنا هذه المعنونة بـ: المشكلات الاجتماعية للشباب وتجلياتها في الخطاب الغرافيقي -دراسة أنثروبولوجية- التي تحاول تفكيك شفرات موضوع المشكلات الاجتماعية للشباب من خلال زاوية محددة تمثلت في الغرافيقي أو الكتابات الجدارية، باعتبارها فضاء تعبيرية يحمل شبكة من الرموز تلامس دلالاتها الواقع بكل تمفصلاته.

وقد تم الاعتماد في ذلك على مقارنة أنثروبولوجية بمنهجية التحليل للمضمون والخطاب، حيث توصلت دراستنا إلى عدة نتائج مفادها الأساسي الغوص من أجل فهم المشكلات الاجتماعية الحديثة التي تواجه الشباب.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ الغرافيقي؛ الشباب؛ المجتمع؛ المشكلات.

Abstract:

The current social reality is characterized by a set of features, traits, and updates that extend beyond general understanding to an academic scientific perspective for the purpose of analyzing and interpreting its details. Accordingly, our study, titled "Social Issues of Youth and Their Manifestations in Graffiti Discourse - An Anthropological Study," aims to decipher the codes of the social issues faced by young people through a specific angle represented by graffiti or wall writings. Graffiti is considered an expressive space carrying a network of symbols that touch upon its meanings in every detail of reality.

The study adopted an anthropological approach with a methodology focused on content and discourse analysis. Our research has led to several key findings, primarily delving into understanding the modern social issues confronting the youth.

Keywords: Problems; Society; Gravity; Youth.

1. مقدمة

يقودنا البحث في رمزية ودلالة خطاب الغرافيقي ومختلف جوانبه ومواضيعه إلى إكتشاف الحقيقة الاجتماعية من خلال وحدة الموضوع، ووحدة الكلمة، ووحدة الرمز التي تتضمنها الجداريات، هذا بحد ذاته يعد إعترافاً بفاعلية الكتابات الجدارية وبأنها قد تجاوزت نزوات شباب وخريشات مراهقين إلى خطاب جاد هامشي للمؤسسات، حيث أصبح خطاب الغرافيتيا الخطاب الهامشي الأول في محاكاة الواقع والتعبير على الحياة اليومية بجزئياتها وتفصيلها، ومساءلة القضايا الاجتماعية الكبرى والصغرى (الماكرو والميكرو) هذا ما ذهبت له الدكتورة لبني فتيحة في مقال لها بعنوان "محاكاة الواقع عبر فن الغرافيقي - قراءة سوسيولوجية-"

إن الغرافيتيا كخطاب بمختلف الركائز والمضامين يعكس تمظهرات الحياة وما تفكيكية النص الجداري وإمكانية تأويله إلا من أجل كشف المعاني الأساسية للنص (لبني، جوان 2021، صفحة 269) لنصل من خلال طرح الدكتورة لبني إلى أن عمق الغرافيتيا منذ ظهورها هو محاكاة الواقع وتمظهرات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية.. الخ وفي هذا تجدر الإشارة إلى المقاربات المعتمدة وأساليب التحليل ومناهجها التي تساعد في فهم هذا الخطاب، لا ننكر باختلافها وتعددتها لكن الفجوة التي لمسناها في الدراسات التي تناولت الخطاب الغرافيقي هي مزج المقاربات وعلى هذا الأساس إعتدنا في دراستنا هي مقارنة سيكو-أنثروبولوجية-.

ارتبطت ظاهرة الغرافيقي الحديثة بفئة الشباب فكانت ملاذ لهم للتعبير بكل حرية ومجهولية على آرائهم وأفكارهم وتطلعاتهم وأحلامهم إنطلاقاً من نظرتهم الذاتية والتي بدورها تعبر عن توجه الجماعة الاجتماعية الفئوية التي ينتمي إليها، ليخلق بذلك فضاء عمومي هامشي خاص به، حسب الفكر الهابرماسي الذي أبدع نظرياً وإبستمولوجياً في تحليل فكرة الفضاء العمومي كمساحة تحتضن مجموعة أفراد يكون التواصل والنقاش هو أساسها وهذه النقطة التي ركز عليها الغرافار لطرح فكر الشباب وما يعانيه من مشاكل - بإعتبار الشباب الفئة الأكثر قوة وحيوية لكن تكثر فيها المشكلات- على هذا الأساس يعتمد الغرافار أو ممارس الجدار على الجدار لطرح مشاكله بشكل يختلف على الأساليب المؤسسية، والتي يساعد التقرب إليها بأساليب التحليل السيكو-أنثروبولوجي إلى فهم أدق للمشاكل من خلال تحليل المزدوج للخطاب الغرافيقي.

تأسيساً على هذا الطرح، كيف عبر الشباب الجزائري على مشاكله من خلال الكتابات الجدارية؟ ماهي أهم التراكيب الدلالية الغرافيتية للمشكلات التي تواجه الشباب الجزائري؟ على صعيد التواصل هل تمكن ممارس الجدار من إعطاء صورة واضحة عن مشاكل الشباب؟

أولاً: المشكلات الاجتماعية تحت سلطة الحداثة

سعادة ورخاء المجتمع الانساني يعتبر هدف كل الأديان والفلسفات التي دورها إحداث تغييرات جذرية كانت أو جزئية بغرض تخليص الانسان من مختلف التهديدات التي قد تمس جوانب حياته المختلفة؛ وبالتالي نقله من واقع حياتي إلى واقع أفضل وأكثر سعادة.

وتمثل الحداثة مرحلة إنتقالية أوصلت المجتمعات الانسانية إلى العيش في واقع جديد مسه التجديد والتحديث على كافة الأصعدة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في تاريخ الفكر الغربي خاصة والفكر الانساني على وجه العموم، إذ لا يمكن اعتبار الحداثة مفهوماً تابعاً لأي مجال سواء كان سياسياً أو سوسيولوجياً أو حتى تاريخياً،

وإنما هي عبارة عن شكل حضاري يرفض كل ما هو قديم، فهي إذا طابع حياة (un mode devie) أكثر مما هي معرفة، لهذا يحددها بودريارد، باعتبارها "انفتاح كل الفضاءات الفردية والاجتماعية على ما هو جديد" (وظفة، 2022)، وهذا ما يؤكد أنه ألفن تفلر Alvin Toffler، بقوله: "لقد مرت البشرية، حتى الآن، بموجتين عظيمتين من التحول، محت كل منهما، ثقافات وحضارات الأولى، وحلت وأحلت أساليب حياتية جديدة محلها، لم يكن يتخيلها أحد من قبل. بالنسبة للموجة الأولى، فهي الثورة الزراعية، التي استغرق إنجازها آلاف من السنين. أما الموجة الثانية، فهي نشوء الثورة الصناعية. وقد استغرق إنجازها ثلاثمائة عام. ومن المرجح أن تكتمل الموجة الثالثة خلال عقود فقط، حيث يسير التاريخ بتسارع كبير. هذه الموجة ستؤثر في كل فرد منا. فالأسرة مجزأة، والاقتصاد محطم، والأنظمة السياسية مشلولة، والقيم تضرب بعرض الحائط، وهي تتحدى علاقات القوى السابقة، وامتيازات النخب المعرضة لخطر تقدم الأرضية التي ستصارع عليها قوى المستقبل" (وظفة، 2022)، فيتبين من ذلك كيف أن لهذه التطورات والانجازات الثورية في مجال التكنولوجيا علاقة بالمشكلات الاجتماعية الحيوية، والتي ترافق مختلف المستويات الحياتية في المجتمع، وهذا ما يفسر طبيعة الحركة والتغير في المجتمع على إثر التغييرات الحاصلة في عالم التكنولوجيا والمعرفة.

ومن هنا فالتغيرات الاجتماعية كبيرة في عدة مجالات تبدأ بالأسرة؛ حيث أدى انتشار وسائل التواصل الاجتماعي لعدة مشكلات أسرية؛ من أخطرها أن هذه الوسائل سحبت كثيراً من تأثير الأسرة على أبنائها وإكسابهم عادات وتقاليد الأجداد المتوارثة من أجيال سابقة، وعلى سبيل المثال أصبح الهاتف النقال هذا الجهاز الصغير له دور كبير في التنشئة الاجتماعية للأجيال لا يقل عن دور الأسرة في كثير من الأحيان، ويصعب منعه أو حظره لاستخداماته المتعددة؛ وهذا في حد ذاته يسبب كثيراً من المشكلات داخل معظم الأسر، وإذا كانت هناك دائماً فجوة بين الأجيال لكن هذه الفجوة اتسعت بشكل كبير بسبب التكنولوجيا الحديثة التي أخذت كثيراً من دور وتأثير الأسرة على أبنائها، وهذا ما يؤدي على المدى البعيد إلى نشأة ثقافات جديدة متقاربة في العالم، والأخطر في عالمنا العربي أننا لا نملك التكنولوجيا التي تسهم في عرض ثقافتنا أو نشرها؛ وبالتالي سوف تكون هناك تبعية ثقافية للحضارات المتقدمة والمسيطرة على التكنولوجيا الحديثة، وهذا بالطبع له تداعياته المتوقعة في عدة مجالات؛ مثل ضعف الانتماء الوطني والحضاري، وضعف التماسك الأسري (حاتم، 2020).

ففي كل مجتمع يعتبر كل من البناء الاجتماعي والثقافة الاجتماعية أساس تنظيم وتنسيق سلوكيات الأفراد وفق معايير وقيم المجتمع، حيث أن كل ميل عن هذين الأساسين يعد افرازاً لمشكلة اجتماعية، وذلك يعود إلى الوجود المستمر للتغير الاجتماعي والتطور الحاصل في البناءات الاجتماعية مما يؤدي إلى ظهور افرازات سلبية تكون نتائجها بمثابة سعر اجتماعي لتكلفة هذا التغير والتطور داخل المجتمعات، وعليه يمكن القول بأن لكل بناء اجتماعي مشكلات اجتماعية خاصة به ترسم ملامحه وتبرز خصائصه ودرجة تطوره.

والتغير الاجتماعي يحدث تلقائياً؛ نتيجة لحركة المجتمع الرتيبة وتفاعله اليومي، كما قد يكون مقصوداً موجهاً يجري وفق خطة مدروسة؛ وهو حينئذ تغير اجتماعي وليس تغيراً اجتماعياً. ومن خلال التفاعل الاجتماعي التلقائي يتغير المجتمع؛ وهذا التغير مصاحب ويصاحب في ذات الوقت تغيراً في القيم الاجتماعية، فالقيم باعتبارها مجموعة المبادئ والمعايير المتفق حولها بين أفراد المجتمع، فهي بذلك تكون مرجعية السلوك السوي والغير السوي داخل المجتمعات، وعليه فإن للقيم موقعا مهماً في التغير الاجتماعي فهي فاعلة ومنفعلة، كونها توجه السلوك الانساني وتقود التغير الاجتماعي، وفي نفس الوقت تتأثر به -التغير- فتتعزيز وتقوى أو توهن وتضعف.

وعند كل عملية تغير اجتماعي يتبعها عملية فقد واكتساب المجتمع لجزء من أهدافه ووظائفه وما يصاحبه من تشكيل في القيم السائدة والعمل على تجاوزها مما يجعل المعايير القديمة غير صالحة لتوجيه سلوك الأفراد بالإضافة إلى

تصادم القيم الجديدة مع القيم السائدة وبالتالي ضعف مرجعيات ومعايير السلوك وعدم التنبؤ بالفعل الاجتماعي، وهو ما يؤثر سلباً على الروابط الاجتماعية (عباسي، 2016، صفحة 87).

ثانياً: إشكالية تحديد مفهوم المشكل الاجتماعي:

يعود أساس الاشكال في تحديد مفهوم المشكلة الاجتماعية إلى التفاوت في التأثير الواقع على كل من الفرد والجماعة والمجتمع ككل، إضافة إلى دورها في إعادة تكييف الافراد للأوضاع الجديدة، وهنا تكمن العقدة التحليلية كما أسماها (معن خليل، 2005) لأنها تحتاج إلى جهود أكثر من عالم يتعاونون معاً في توحيد الصورة العامة عن الوضعية الاجتماعية الخاصة بالمشكلة قيد الدراسة؛ فضلاً عن نواتج المشكلة الواحدة المتصلة بالمشكلات الأخرى والمكملة لها في أحيان أخرى، ويؤدي التشعب دراسة المشكلة إلى تغطية أبعاد متنوعة وفسح المجال للمقارنة والتبصر الأوسع في قطره أو مداه فمثلاً نجد كليرنس كيس استخدم الطرح النفسي-الاجتماعي وسبل معالجتها مستعينا بالطرق الاحصائية، في حين استند فرانس ميلر على محور العلاقة المتداخلة بين المشكلات الاجتماعية والقيم الاجتماعية ثم ناقش الحاجة الملحة في تحسين أوضاع الأفراد الذين يخضعون لمؤثرات المشكل أو الذين يعيشون تحت وطأته.

ثم قام ريتشارد مولر محللاً لثلاثة مسالك للمشكل الاجتماعي في حين اهتم جيمس بوسارد بالمنطلقات الاجتماعية في حين عالج وليم اوكرن كيفية الوصول إلى براهين فروض التخلف الثقافي كأساس قاعدي للوهن الاجتماعي، بينما أكد هورنيل هارت المشكلة من زاوية سعة تأثيرها على عدد كبير من الناس ودرجة احتياجها إلى علاج وحل ضروري من خلال قياسات عامة لا خاصة أو فردية أو معزولة عن باقي المشكلات الأخرى؛ لأن علاج أي مشكلة اجتماعية يحتاج إلى جهد منظم من أكثر من جهة مقتدرة. ويعود ذلك إلى اتساع شبكة ارتباط الافراد بأكثر من تنظيم اجتماعي في نفس الوقت، فضلاً عن تنامي وعي وإدراك الأفراد بما حولهم والذي افرزته التطورات التكنولوجية وتأثير وسائل الاعلام الحديثة وسرعة ودقة الاتصالات السلكية والالكترونية كل ذلك جعل الافراد يعيشون في بيئة المشكل ويشعرون بوجوده وتأثيراته، غير أن الشعور بالمشكل لا يعني الوعي به لأن الوعي به يشير إلى معرفة آثاره وأبعاده الايجابية والسلبية أو كيفية معالجته، بمعنى أن الوعي بالمشكل يمثل أعلى درجات الاحساس به لأنه يتبلور من خلال عيش الأفراد تفاصيله وإدراك مكنوناته ورؤية أبعاده سواء الايجابية أو السلبية، في حين يعتبر الأفراد المتعاطفين مع أصحاب المشكل لا يتبلور لديهم الوعي بالمشكل وإنما الاحساس الأولي به فقط.

وعليه فالوعي عبارة عن قرار عقلي ناتج عن إحساس الفرد بالحالة التي يعيش فيها ويتأثر بها لفترة من الزمن، ومع تكرار هذا التأثير الأحادي عندئذ يتحول هذا الاحساس إلى قناعة فكرية تعبر عن المعاناة والاشكالات والاضطرابات والانفعالات الناتجة عنها والمصاحبة لها. أما الاحساس بالمشكل هو التعايش الأولي والانتباه الابتدائي لمؤثراته والذي لا يشكل قناعات فكرية بسبب قصر الفترة الزمنية للتعايش وقلة تكرار مؤثراته على الفرد.

فالمشكلة الاجتماعية هي الحالة التي تعكس انتهاكاً لقيم الأفراد أو تعاكس احكامهم عليها شاعرين بها فيحكمون عليها بأنها تشكل مشكلة لهم (معن خليل، 2005، صفحة 84) بمعنى وجود خرق ومساس حقيقي لواحدة من القيم الاجتماعية وادراك الافراد ووعيهم بذلك مما يخلق مشكلة اجتماعية. وعليه يعتبر التحديد الذاتي بوجود المشكلة عنصراً رئيسياً للاعتراف بوجود مشكل اجتماعي حقيقية واقعة فعلاً في المجتمع. وعليه حدد (معن خليل ص 85) ثلاث محاور أساسية في تعريف المشكل الاجتماعي هي وجود الظرف الموضوعي والذي يخلق التحديد الذاتي وهو بدوره يبلور حكماً على الظرف الموضوعي الذي يعبر عن وجود مشكلة للفرد، هذا الاعتراف والوعي الظاهر لدى الفرد يقر بوجود مشكلة اجتماعية وغياب واحد من هذه الحاور يعني غياب أو عدم وجود المشكلة في الواقع.

ومن جانب آخر نجد تباين القاعدة الثقافية في استعدادها لقبول الشروط الموضوعية أو رفضها، فإن ذلك يؤثر على قبول الناس للظرف الموضوعي حسب مصالحهم الذاتية ومستواهم الثقافي ومواقفهم الاجتماعية التي لا تمثل حالة واحدة في استجابتها أو مستواها الإدراكي تجاه الظرف الموضوعي. وعليه يمكن تحديد تعريف للمشكلة الاجتماعية بشكل أوسع على أنها حالة من عدم الاستقرار أو الاضطراب في نمط العلاقات الاجتماعية والذي يهدد وجود إحدى قيم المجتمع أو إحدى مؤسساته لجعلها غير ملائمة داخل مجتمعها الأمر الذي يدفع الأفراد بمطالبة إعادة استقرار النمط المهدد أو ردع مسببات اضطرابه (معن خليل، 2005، صفحة 89).

وفي سياق موضوع مشكلات الشباب تؤكد الدراسات أن زيادة حاجات الشباب وعدم تلبيةها يزيد من مشكلاته، مما يؤدي إلى اضطرابات صحية لديه واختلالات على المستويات النفسية والفكرية والاجتماعية، وظهور الانحرافات السلوكية مما يعرف مشكلات الشباب على أنها جملة المواقف الصعبة أو الحرجة التي تواجههم وتقضي حلاً لا يقدر عليه، حيث أن كل فرد لابد أن يتعرض خلال مساره الحياتي لمجموعة من المشكلات أو التحديات يسعى إلى حلها ومواجهتها، في المقابل هناك مشكلات صعبة الحل ودرجة خطورتها عالية على الفرد، خارجة عن سيطرته وإرادته ويحس عند مجاراتها بالقهر والضعف والإحباط، ما يميز هذا النوع من المشكلات أن مسبباتها خارجة عن الأفراد ونتيجة عن الآخرين وعن البيئة الخارجية (عباسي، 2016، صفحة 21).

ثالثاً: الجرافيتيا والواقع الاجتماعي: أي علاقة؟

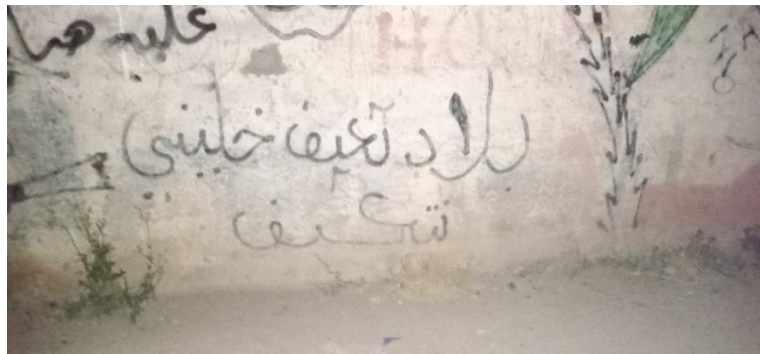
تعود فكرة الرسم والكتابة على الجدار إلى بداية ظهور الإنسان حسب علماء الآثار، حيث كان الإنسان يكتب ويرسم على جدران الكهوف والمغارات ليعبر عن مشاغله وتطلعاته وأفكاره ومحاولاته للطبيعة من خلال الرسم والكتابة على الجدران تكشف هذه الكتابات عن عادات وتقاليد ونمط عيش الإنسان في تلك الحقبة، "على الرغم من أن مصطلح الجرافيتي يرتبط بشكل أساسي بالكتابة والرسم على الجدران التي تنتمي إلى القرنين الماضي والحاضر إلا أن الكتابة والرسم على الجدار وجدوا مع وجود البشرية، كما تدل رسوم عصور ما قبل التاريخ" (مسلماني، 2013، صفحة 11) لذلك اهتمت الحضارات القديمة بالجرافيتي بدءاً من الحضارة اليونانية، وفي ستينات القرن العشرين خلال ثورة الشباب عام 1968 ظهر الجرافيتي على جدران الشوارع والجامعات في باريس للتعبير عن رأي الشباب الثائر على النظام الاجتماعي والسياسي، وفي أمريكا ارتبط الجرافيتي بفن الهيب هوب في محطات النقل في نيويورك وزادت الشعارات ذات الكلمات والأحجام المختلفة، وكانت هذه الكلمات تكتب بشكل هزلي أو بشكل سائل مع رسوم الكاريكاتير وأطلق على هذه الأعمال اسم فن الطبقات الفقيرة ثم إنتقل إلى واشنطن وغادر محطات المترو إلى الشوارع بشكل فعال وانتشر من خلال استخدام الأصباغ الرابضة، ولم يتوقف عند هذا الحد بل وجدت نماذج جديدة من الرسم والإبتكار، وبلغ تطوره إبان الركود الاقتصادي في نيويورك عام 1974 لكنه أصيب بالركود في السبعينات، ومع بداية الثمانينات بدأ الفنانون في تطوير أعمالهم الفنية، ولم يكن هذا الفن معترفاً به من قبل، لكنه صار بعد عام 2000 جزءاً لا يتجزأ من الموضة العالمية والتصميم والإعلان بالإضافة لكونه أداة تعبير سياسية واجتماعية (مدوح، 2019، صفحة 4)، يعبر الجرافار من خلالها على واقعه بكل حرية تامة ومجهولية، بمعنى أن "ظاهرة الجرافيتي ليست وليدة العصر أو الواضع الراهن بل أنها لم تبقى على طابعها المعهود فأصبحت بمعناها المعاصر من أبرز الظواهر الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات" (فارح و بروقي، 2022، صفحة 314)، وهنا كان موقف الأفراد تجاه هذه الظاهرة مزدوج الإتجاه، فهناك من يرى بأنه تشويه للمنظر العام للشوارع والمدن، وهناك من أخذها في شقها الإيجابي كون هذه الكتابات حبلً بدلالات رمزية تحليلها غني بتفصيلات حول الواقع المعاش حيث "يزاوج الجرافار في صنع لوحته بين واقعية واقعه بكل تجلياته، وبين فضاءات خياله اللامحدود، فهو ملزم بدوره تجاه شباب رفعوا شعارات الرفض والتمرد على واقع اجتماعي وسياسي لم يقر بوجودهم، وأحياناً أخرى يوظف الجدار لمحاكاة الأحلام" (لبنى، جوان 2021، صفحة 262).

أما على النطاق المحلي فقد انتشرت الكتابة على الجدران تعبيراً عن واقع الشباب – كون الشباب هي الفئة التي تمارس الكتابة على الجدران- فيعبر الغرافار على مشاكله الإنسانية وأماله وطموحاته، بمعنى أن الكتابة على الجدران فن شعبي يخرج من الأفراد يعبرون عن أنفسهم وتطلعاتهم بشبكة من الرموز والخطابات لها معنى ودلالة حسب ثقافة المجتمع ذاته، ذلك أن ممارس الجدار ابن ثقافته، وهذه الوحدة الغرافيتية من إنجازها هو مما يجعلها جزء لا يتجزأ من ثقافته الكلية، وهذا هو البعد الثقافي الرمزي للغرافيتيا، كما أنه يمكن أن تعطي هذه الوحدات الغرافيتية صورة حقيقية للواقع الذي يعيشه أفراد المجتمع وهذا راجع للحرية التي يمتلكها الممارس وهو ما ذهب إليه أحمد شراك؛ بأنه أكبر ما يميز الكتابات الجدارية على إمتدادها التاريخي هو الحرية التامة في التعبير والتواصل، خلافاً لكل خطاب مؤسسي، بهذا نصل إلى أن الحرية التعبير لها صدى في الكتابات الجدارية كونها لا تخضع لأي رقابة، يعبر الفرد عن رأيه وتوجهاته إنطلاقاً مما هو شخصي ذاتي إلى ما هو إجتماعي سياسي (شراك، 2013، الصفحات 162-163).

إذا النقطة الأساسية التي نركز عليها مفادها أن كل المعطيات الغرافيتية تحاكي الواقع بتفاصيله وجزئياته مما يوضح أن الجدار يعطينا معطيات سوسيو-أنثروبولوجية غنية برموز تخضع لتحليلات ممنهجة ومؤطره نظرياً وإستيميا للخروج بحقائق علمية حول المجتمع المدروس وثقافته الكلية من خلال ثقافة فرعية أنشأها أصحاب الثقافة وما يميزها هو تناولها ل-مواضيع مختلفة حول الحياة الواقعية للفرد الذي أبدع بكتابات التي توضح توجه أفراد المجتمع ويحاكي واقعه الذي هو واقع المجتمع ككل. وهذا ما تذهب له الدكتورة لبنى فتحة " إن التعبير الإبداعي يشمل مختلف مناحي الحياة بدءاً بالتعبير عن أنفسنا وتحقيق الذات فهو أي إبداع – من وجهة نظر نفسية – طاقة عقلية هائلة فطرية في أساسها، اجتماعية إنسانية في إنتمائها، وفيه تتمثل تجربة الأنا لدى الفرد المبدع" (لبنى، جوان 2021، صفحة 264)، و بإعتبار الإبداع سلوك فردي فبتطبيق المنهجية الفردانية لريمون بودون بأن الفرد يمثل الجماعة نصل إلى أن هذا الإبداع هو يعبر على فكر الجماعة، ومن جهة أخرى فالممارس المبدع ابن ثقافته أي أن الثقافة قد قبولت شخصية الفرد، بمعنى أن توجه الفرد مقيد بأسس وضوابط ثقافية تجعل من إبداعه له صبغة ثقافية عامة.

إنطلاقاً مما سبق؛ الغرافيتيا خطاب هامشي عام بمختلف مواضيعه يحاكي مظهرات الحياة الاجتماعية للفرد ممارس الحياة وللمجتمع عامة، بمعنى أن الخطاب الغرافيتي إنعكاس للواقع المعاش من جهة وانعكاس لشخصية الفرد ممارس الجدار أو الغرافار، مما يجعلها أرضية خصبة للدراسات الأنثروبولوجية.

الصورة رقم 1: جدارية بلاد تعيف خليني نتكيف



المصدر: تصوير الباحثان

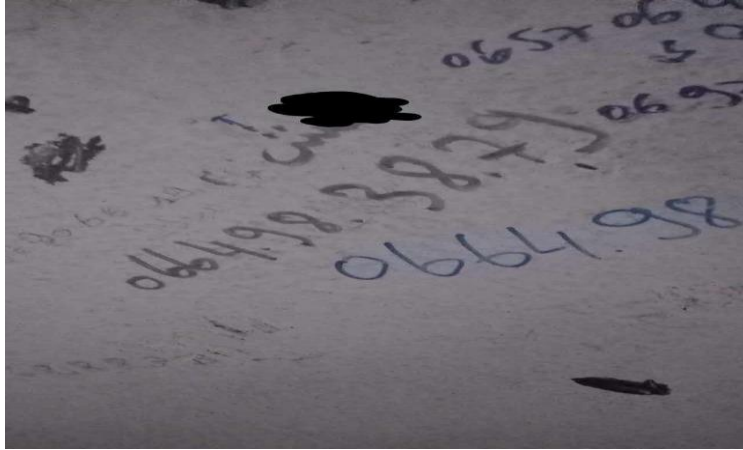
تحمل جدارية " بلاد تعيف خليني نتكيف " خطاب لغوي متشابك المضمون والمدلول، إذ نلمس من خلالها مشكلة الإدمان على تعاطي المخدرات، كما نلمس أيضاً مشكلة تدني الأوضاع الاجتماعية مما جعل الممارس (الغرافار) يتذمر

لدرجة السخط أو الثورة ضد الوطن، بسبب المشاكل اليومية التي يواجهها الفرد الجزائري ويتخبط فيها مما جعله يلقي اللوم على وطنه فيصفه بأبشع الصفات، هذه المؤشرات الاجتماعية السلبية تؤسس لعدة نقاط: مستقبل ضائع، إنتشار الفقر والبطالة...، عجز الفرد على إشباع حاجياته الأساسية والثانوية، تولد مشاكل نفسية للأفراد، فقدان عملية المشاركة الفعلية و الإحساس بالإغتراب.

أبرز ما ترمزله هذه الوحدة الجغرافية في شقها الأول هو سوء الوضع الاجتماعي الذي يعيشه الفرد قد نتج عنه إختلالات في نسيج العلاقات الاجتماعية وهذا بدوره أدى إلى إختلال في البناء العام للمجتمع ودرجة تماسكه، إذ وبتأثير عدة مؤثرات خارجية وأبعاد مختلفة نتج لنا هذا الوضع الاجتماعي الذي ساعد على ظهور عدة مفاهيم كالإدمان والذي يمثل الشق الثاني للوحدة الجغرافية المدروسة.

تجاوز مضمون خطاب الوحدة الجغرافية في شقها الثاني المشكلة الاجتماعية إلى النفسية وهي الإدمان التي لا يختلف إثنان على حدة خطورتها ونتائجها الوخيمة سوي على الصحة النفسية والعقلية والجسمية للمتعاطي وتشكل سلوكيات مختلفة تماما أو على مستوى المجتمع وتطوره وتقدمه، هي مشكلة تعتبر مولدة لعدة مشاكل أخرى. أما بالنسبة للأسباب الإدمان تختلف وتتعدد لكن ممارس الجدار قد وضع السبب الذي أدى به إلى التعاطي في هذه الجدارية بأنها أسباب إجتماعية بامتياز، لكن هذا لا يخفي الأسباب الضمنية للتعاطي؛ كرفض القيم الدينية والقيمية والأخلاقية، عدم الوعي والإدراك لخطورة المواد المخدرة. نصل إلى أن مضمون هذه الوحدة يتلخص في تعبير الممارس على مشكلة الإدمان و أسبابها الاجتماعية (تدني الوضع الاجتماعي) والتي بدورها تدخل ضمن سياق المشكلات الاجتماعية، بمعنى أن الوحدة الجغرافية قد عبرت على مشكلتين يعاني منهما الشاب الجزائري الأولى اجتماعية والثانية نفسو اجتماعية.

الصورة رقم 2: جدارية سالب



المصدر: تصوير الباحثان

تعبّر الجدارية التالية على مشكلة الإنحرافات الجنسية جندرية التي تداخلت فيها الأدوار الجنسية، بمعنى آخر الإضطرابات في التفضيل الجنسي الذي يعتبر إنحراف وتحدي لما هو متعارف عليه إجتماعيا وثقافيا ودينيا.

تبنى الممارس إستراتيجية الإنفلات من المنظومة الثقافية والهروب من إملأاتها، للتعبير عن رغبته الجنسية التي تتنافى مع منظومته، من أجل بناء واقع بحسب ما تتطلبه رغباته مبررا ذلك بملكية جسده وحرية التحكم فيه يعني أن جسده لا يخضع لمبدأ السيطرة الثقافية والاجتماعية، مما يعبر عن ثورة جنسية أيروتيكية تحمل في طياتها تناقضات، فبالرغم من التحدي الذي أطلقه الممارس ضد المنظومة الثقافية إلا أنه يخشى مواجهة العامة ويعتمد مبدأ السرية والمجهولية في كتاباته ولا يفصح عن هويته خوفا من التهميش الاجتماعي وعليه فهذا التناقض هو تصريح ضمني على أن هذا الانحراف

الجنسي مشكلة نفسية اجتماعية ثقافية تكمن في انتهاك ممارسة الفرد لسلطة الجسد وغياب القواعد والقوانين الضابطة للرغبة أو الغريزة الحيوانية وربطها ببعدها السوسيو-ثقافي الذي يحدد ممارستها في حدود ما يسمى بعقلنة الجسد، على أن يكون هذا الشكل من الغرافيتي على ما تدعوه كاترين فيشر (katrin fisher) "الغرافيتيا المبتدلة الصارخة المرتبطة بالجنس والعاطفة كمقابل للغرافيتيا المهذبة الموضوعية التي تقترح مسائل عامة للنقاش وتحترم كتابات الآخرين" (باي، 2019، الصفحات 23-24)

مسألة هذه المشكلة تدفعنا بالضرورة على الخوض في تداعيات الحداثة التي تشكلت على أساس الطعن والشك في كل ما هو تاريخي تقليدي حيث بات "يتمثل راهننا اليوم في التأمل داخل تطور حلقات الأسئلة المتصلة بالمجتمعات المعاصرة من ناحية العرق والجنس" (بكاي، 2017، صفحة 07)، فلم يسلم البعد الجندي من سلطة الحداثة التي غيرت في أسسه وأشكاله وقراءاته، مما ولد مشكلات حديثة لم تكن في السابق والجداية الأخيرة توضح ذلك، حيث لا ننفي وجود هذه المشكلة سابقا لكن لم تكن بهذه الصورة المشرعنة والمفنتة بل كانت تابو اجتماعي ثقافي يميل له إلا الفرد النادر والشاذ عكس وقتنا الحاضر.

الصورة رقم 3: جدارية الحرقه



المصدر: <https://www.google.com/search>

تحمل هذه الجدارية رمزية ودلالات مختلفة ومتشابهة، تلعب فيها الألوان دورا بارزا في فك شفراتها، بداية من الخلفية البيضاء التي تعبر عن السلام، واللونين الأزرق والأحمر للدلالة على ألوان العلم الفرنسي والبريطاني، كدلالة على السلم الذي يرمي له الغرافار في العيش في هاتان الدولتان.

تعبّر العبارات والرسومات في هذه الجدارية على ظاهرة الحرقه أو الهجرة غير شرعية "علم بريطانيا" و "haraga" و "paris" كلها تجتمع في رغبة الممارس في الهجرة وهذه في حد ذاتها مشكلة إجتماعية تتعلق أساسا بسياقات مختلفة، فالتأسيس النظري لنظرية عوامل الطرد وال جذب كأهم نظرية فسرت ظاهرة الهجرة غير شرعية، تعكس بالضرورة وضع الشباب والمشاكل التي تواجههم، حيث كانت عامل طرد لهم، تواجهها عوامل الجذب في البلدان الغربية (فرنسا وبريطانيا)، حيث يشرعنها المهاجر بأسباب موضوعية حسب وجهة نظره، فالوضع الذي يعيشه الشاب الجزائري من بطالة وفقر وتهميش وما يقابلها من فرص عمل في أوروبا يدفع بالشباب إلى التفكير في الهجرة:

كشفت الدلالات مستوى التدمير منالواقع المعاش حيث إضطراب العدالة المجتمعية والحلم بالهجرة يتنوع ذلك من الإفصاح المباشر بالرغبة الملحة في الهجرة، وتكرار أسماء دول أوروبية وولاياتها مأمولة مع إقرانها بالتمني التبجيل على نحو: vive paris وان شاء الله بريطانيا... مجسدة بدون قصد مبدأ القدسية، حيث تنتشر هذه التراكيب الرمزية التي تحمل في دلالاتها ومعانيها مفهوم الحرقه لتعبر عن أحلام الشاب لتغيير وضعه المادي والاجتماعي وبلوغ جنة الدنيا (باي، 2019، صفحة 31).

الحرقه أو الهجرة غير شرعية ظاهرة اجتماعية توضح الشعور بالاغتراب وللانتماء وكره الذات الاجتماعية أو الجمعية ورغبة تفكيك الروابط التي تربطه بالمجتمع والوطن، كل هذه المؤشرات تكشف مستوى العلاقة بين الممارس (الغرافار) ومحيطه الاجتماعي، الذي كثير ما فسرهما الباحثين في مجال الهجرة إلى عامل البطالة.

نصل إلى مضمون الوحدة الجغرافية التي عبر على مجموعة مشكلات نفسو اجتماعية: الحرقه، الاغتراب وللانتماء، البطالة.... وغيرها من المشاكل الضمنية التي ولدت الرغبة في الهجرة لدى ممارس الجدار.

الصورة رقم4: جدارية Chomage



المصدر: تصوير الباحثان

"تتعدد أسباب الكتابة الجدارية فقد تكون تعبيراً عن موقف مميز أو موقف في قضية صراع أو هدف يسعى له أ، قد تكون عبارة مختصرة" (الخواطر، 2022، صفحة 54) من هذا المنطلق كان خطاب هذه الوحدة الجدارية عبارة مختصرة تتضح للوهلة الأولى بأنها واضحة وجلية لكن الاقتراب اليها بوحدة تحليل أنثروبولوجية وتطبيق أداة تحليل المضمون من أجل التحليل والتأويل يقودنا إلى فهم معاني ودلالات وإنتاج مفاهيم ما ورائية وهذا انطلاقاً من فكر ليفي ستراوس الذي "يقوم على رد نمط من أنماط الواقع إلى نمط آخر غيره وأن الواقع الحقيقي ليس الواقع الأوضح والأجلى على الإطلاق" (لومبار، 1997، صفحة 269)

يعبر مصطلح chomage (بطالة) عن حالة عدم وجود وظيفة لشخص، شرطاً أن يكون قادراً ومستعداً للعمل. يمكن أن تكون البطالة مؤقتة أو طويلة الأمد وتعتبر مشكلة اقتصادية واجتماعية خطيرة لامست كل البلدان والمجتمعات، عبر عنها الشاب بحالة نفسية مضطربة توضح مدى حدة تأثيرها على الشباب من الناحية السيكو اجتماعية والاقتصادية تتجاوز دلالة هذه الوحدة الجدارية التعبير على إحدى المشاكل النفسية والاجتماعية والاقتصادية إلى التعبير عن مشاكل ضمنية تتلخص في مسببات ظهور هذه المشكلة التي تتخفى وراءها وهي الأزمات الاقتصادية التي تواجهها البلاد، المحسوبة في التوظيف، كذلك ما ينتج عن هذه المشكلة من مشاكل أخرى كال فقر،

والإجرام وما في ذلك النمو الاقتصادي، والتغيرات في هيكل الاقتصاد، وتقليل الإنتاجية والإيرادات، وزيادة الأعباء على الدولة فيما يتعلق بمنح الإعانات الاجتماعية وتأمين البطالة.

عملت هذه الجدارية ودلالاتها اللغوية إلى التأسيس لثورة تأسيسية سوسيواقتصادية (Socioeconomic Revolution) يأمل من خلالها لتغييرات جذرية وشاملة في الهيكل الاقتصادي والاجتماعي للبلاد، تتضمن الثورة السوسيواقتصادية تحولات في التكنولوجيا، والإنتاجية، والعلاقات الاقتصادية، والتوزيع العادل للثروة والفرص بذلك نكون قد أثبتنا رأي الدكتور أحمد الشراك القائل " يحتل خطاب الغرافيتي graffiti حصة الأسد في الثورات التأسيسية" (شراك، 2013، صفحة 141)، وبطرح نظري آخر نقول أن الجدار بات فضاء هامشي إعتمده الشباب في طرح أفكارهم القائمة على مبدأ التغيير وفضاء للتعبئة والحشد لإطلاق ثورات، هذا لما لهذا الفضاء الهامشي من سلطة تأثير من جهة ومن جهة أخرى مميزات تدفع بالشباب لاعتماده في هذا الطرح بما في ذلك من سرية وحرية تعبير ومجهولية الممارس.

خاتمة:

اعتمادا على مقارنة أنثروبولوجية لموضوع المشكلات التي تواجه المجتمع الجزائري من خلال الكتابات الجدارية اتضح ان هذه المشكلات لا يختلف اثنان على تأثيرها السلبي في حياة الفرد، فالمشكلة الأساسية التي تلخص جل المشاكل هي الصراع القائم بين ثنائية (تقليد-حادثة) والتي تاه فيها الشاب وعجز عن إيصال فكرته مما دفعه إلى خلق فضاء هامشي يعبر من خلاله عن مشاكله وتطلعاته، هذا الفضاء (الجدار) الذي وجد فيه الغرافار ملجأ يعبر بالضرورة عن غياب فضاءات رسمية للحوار، هذا من جهة ومن جهة أخرى إلى مميزات هذا الفضاء التي تتلخص في التعبير بكل حرية كاملة ويحفظ مجهولية الممارس.

نصل في ختام هذه الدراسة أن الجدار كفضاء عمومي هامشي يحمل شبكة من الرموز يمكننا التقرب منها بأساليب تحليل سيكو-أنثروبولوجية إلى تحليل الرموز والفهم المعق لمضمون هذه الوحدات الغرافيتية التي عبرت عن مشاكل الشباب المختلفة، ولترك مجال البحث مفتوح نختم دراستنا بالتساؤل التالي: هل سيكون للخطاب الغرافيقي صدى في بناء واقع يحقق أهداف الشباب ويخرجه من دوامة مشاكله؟

قائمة المراجع:

1. ابتسام الخواطر، تحليل خطاب الجداريات في مدينة عمان دراسة سيميائية، (عمان : وزارة الثقافة ،2022).
2. بوعلام باي، واقع الغرافيتيا بالفضاء الجامعي الجزائري: تعدد المضامين وتباين الغايات.غرافيتيا طلبة جامعة تلمسان أنموذجاً. /إنسانيات،(مزدوج 85-86) ، 2019 ، 15-37.
3. جاك لومبار، مدخل إلى الإثنولوجيا، (بيروت : المركز الثقافي العربي، 1997) .
4. رمزي فارح، و وسيلة بروقي، خطاب الجراك الشعبي الجزائري من خلال الكتابات الجدارية-دراسة أنثروبولوجية- /أنثروبولوجيا، 8(1)، 2022 ، 313-329.
5. سمر ممدوح، الغرافيتي كأداة إحتجاج سياسي ثورة يناير نموذجاً، أركان للدراسات والأبحاث، 2019.
6. شراك، أ. (2013). الغرافيتيا والثورات. مجلة كلية الأدب والعلوم الإجتماعية، 19، 141-173.
7. عبد المنعم أحمد حاتم (2020)، من ما بعد الحداثة والتغيرات الاجتماعية، بوابه الأهرام. تاريخ الاسترداد 12 7، 2023: <https://gate.ahram.org.eg/News/2352854.aspx>
8. علي أسعد وطفة. (2022، 6، 25). /التنويري. تاريخ الاسترداد 14 7، 2023، من من صدمة المستقبل إلى الموجة الثالثة: التربية في المجتمع ما بعد الصناعي في منظور أفلين توفلر: <https://altanweeri.net/8362>
9. عمر معن خليل، علم المشكلات الاجتماعية. (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005).
10. فتيحة لبنني، محاكاة الواقع عبر فن الغرافيتي-قراء سوسيوثقافية-. مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، 8(2)، 2021، 256-270.
11. محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذات الانسانية: من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الانعتاق،(لبنان: مكتبة مؤمن قريش، 2017).
12. مسلمان، غرافيتي الثورة المصرية، (بيروت :المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).
13. يزيد عباسي، مشكلات الشباب الاجتماعية في ضوء التغيرات الاجتماعية الراهنة في الجزائر. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة جيجل، أطروحة دكتوراه ، الجزائر، 2016.